﴿ منهل الورّاد ﴾

(في علم الانتقاد)

هو كتاب في علم النقد صنفه سعادة الكاتب المجيد والشاعر المبدع قسطاكي بك الحمصي واهدانا نسخة الجزء الاول منه فوجدنا فصوله في علم النقد آخذاً بعضها برقاب بعض مبتدئاً منها بتاريخ هذا العلم عند العرب وعند سائر الامم والقرون المتوسطة والحديثة ثم ذكر علم الادب وموضوع النقد وانتهى الى قواعد الانتقاد ففصلها تفصيلا وذكر كل شروط النقد مع الموازنات في كل دواعي القول من نثر ونظم حتى لم يترك من هذا القبيل شاردة الا احصاها وقيدها مستخدماً في سبيل ذلك بصيرة نقادة وقلباً واعياً وتنبهاً لا يدري مقداره الا من عانى شيئاً من هذا الفن ووجد ما ينبغي له من كد الذهن والتنبه الى الصغائر التي تدل على الكبائر وتستكشف بها الحقائق ولذلك يكون عمله جديداً مبتدعاً ليس من حيث ان امثاله من للعرب قد قصروا في هذا الفن بل من حيث ان العمل نفسه جديد لما ضمنه من الخواطر والاراء التي زاد بها عن حد المكمل لتقصيرهم حتى اننا لو فرضنا انهم كتبوا في هذا الفن وعقدوا له الكتب المستقلة به فانهم ما كانوا خرجوا عن الحدود التي رسموها لنفوسهم اي انهم ما كانوا الا مطوّلين غير متنبهين الى شيء سوى الذي تنبهوا اليه اولاً وهذا نقوله من قبيل القياس الى ما بدا منهم لا غير

ولقد وجدنا حضرة المصنف كانه مشارك لنا في الذي اخذناه مرة على البحتري حين قوله يعزي ابا نهشل الطوسي عن ابنته

اتبكي من لا ينازل بالسيف مشيحاً ولا يهز اللواء

ولذلك رأينا ان ننقل انتقاده كاضافة وتكملة لانتقادنا القديم وهذا ما ورد منه في المنهل

« اما همزية البحتري فليست في شيء من التعزية او الرثاء بل أحرى بهذا الشعر ان يدخل في باب الهجاء وهي زلة من زلات البحتري وهفوة من هفواته فانت تعلم ان الولد عزيز على والديه ذكراً كان ام انثى اذ المحبة لا تتولد في قلب الانسان من عامل عقلي بل طبيعي وان من يشاهد حسناء لا يقع في هواها بعد طويل التبصر ومراجعة الفكر او امل الوصول الى ربح منها او نفع بل انما هو يدفع الى محبتها بفاعل طبيعي ولعله سرٌ من اسرار الجاذبية الغامضة . ولما كان الحب مشتركاً فيه الحيوان الاعجم والحيوان الناطق فانظر الى الكلبة كيف ترضع اجراءها بالسواء والى الحمامة كيف تزق فراخها دون استثناء ايكون الانسان ادنى رتبة من الحيوان ويعرى من اشرف مزية يتحلى بها في كل زمان ؟ والعجب من البحتري فيما جاء به في هذه القصيدة وهو يعلم ولا شك ان كثيراً من الحيوان الاعجم يبكي لفقد ولده ويتألم لا يفرق او لا يميز بين الذكر منه والانثى . فكيف يطلب من صاحبه ان لا يبكي ابنته وان يعد موتها حسنة من حسنات الايام » انتهى

والذي نراه ايضاً ان الذي يظهر من العرب انهم لم يكتفوا باحتقار المرأة الى الحد الذي دعا صاحب المنهل الى الرد على البحتري ووصف رثائه

بالهجاء بل كانوا لا يرون من المختار ذكر محاسن المرأة حين ترثى كما روي عن ابن وكيع في اعتراضه على المتنبي لقوله في ام سيف الدولة

سلام الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمالِ

فان ابن وكيع لم يستحسن ذكر الجمال هنا لا لشيء فيما نظن الا لكونه يرى ذكره مما يدعو الى الارتياب في صيانة المرأة المرثية من نحو ان يكون الراثي قد رآها فدرى انها جميلة او عاشرها مثلاً او انها ممن يتحدث الناس بهن في الاسواق او المجتمعات ونحو ذلك مما يعدونه غير لائق ولذلك لم يكن احد من الشعراء يذكر امرأة حين رثائها بانها جميلة اذا كانت كذلك حقيقة مع انهم يذكرون الرجال كما فعل ابو تمام في رثاء اخيه على حين الجمال هو حلية النساء دون الرجال وجدير بان يكون فخراً لهن ومنقبة يذكرن معها بالخير لانها هبة من الله والله لا يحب الا الطيب من الناس . الا ان المتنبي قد انفرد دونهم بذكر الجمال وهو سواء شفع قوله بذكر الصيانة والعفاف او لا فلا غبار يعلق بادابه لانه كان يكاشف الحقيقة فيما يقول فلا يرى في ذكر الجمال عاراً . ثم ان ام سيف الدولة التي ذكرها بالجمال كانت كبيرة شيئاً فيؤخذ معنى الجلال من جمالها ولكنه رثى اخت سيف الدولة وكانت شابة فقال فيها

وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب
يعلمن حين تحيي حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب

فانه صرح بحسن مبسمها الدال على جمالها وشفع ذلك بذكر الصيانة كما فعل في رثاء ام سيف الدولة دون ان يعتقد ان سيف الدولة او سواه يؤاخذه على ذكر هذا الجمال وحسن المبسم ثم قال

ولا ذكرت جميلاً من صنائعها الا بكيت ولا ود بلا سبب

وقال

وهل سمعت سلاماً لي الم بها فقد اطلت وما سلمت عن كثب

فانه وصل الى ذكر السلام والمودة وهو اجل من ذكر الجمال وفي هذا ما يدل على ان المرأة لم تكن محتقرة مسجونة في بلاط سيف الدولة وقصره بل كان مثل المتنبي يرى اخته على الارجح . واذا كان مارآها على حد ما قال

قد كان كل حجاب دون رؤيتها فما قنعت لها يا ارض بالحجب

فانه كان يبعث اليها بتحياته وتبعث اليه بهداياها وثنائها عليه وتقرأ قصائده ولذلك ما استخف موتها كما فعل البحتري ولا ذكر ان من العجز بكاء الرجال على النساء بل لقد صرح تصريحاً بشدة حزنه على اخت سيف الدولة وقال انه بكى بكاء مراً لفقدها وفي ذلك يقول

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذبِ
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

ولقد كان اسم تلك الفقيدة خولة ولكن المتنبي ما ذكره بل قال

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهبِ

فما ضر لو ذكر اسمها وهو قد ذكر جمالها وسلامه عليها

ولقد دافع صاحب المنهل عن المرأة دفاعاً حسناً وعاتب الوليد عتاباً شديداً حتى كأنه كان ينشده قول المعري فيه بمثل هذه الحال

ذم الوليد ولم اذمم دياركمُ فقال ما انصفت بغداد حوشينا
فلو لقيت وليداً والنوى قذفٌ يوم القيامة لم اعدمه تبكيتا

فاذا كان ابو العلاء يبكت الوليد يوم القيامة لو لقيه من اجل مذمة بغداد فلا شك ان صاحب المنهل لا ينفك عنه حتى يعاقبه بالسجن لان ذم المرأة على كل حال اشد من ذم بغداد

ولقد انتقد احدهم هذا الكتاب في جريدة الظاهر الغراء فكان في جملة ما دافع به عن حرية شعراء العرب وعدم تهيبهم ممدوحيهم قوله ان مسلماً بن الوليد لم يكن يتهيب ممدوحيه بدليل قوله لاحدهم

واقسم لولا حاجز الود بيننا ... وكان مع العتبى المودة والفضلُ

وانملة قدمتها لك لا يد ... لساءك مني ماسررت به من قبلُ

فان ذاك المدافع قد زعم ان مسلماً كان يخاطب رجلا من الاكابر والحقيقة على ما نعلم انه كان يخاطب بتلك الابيات امرأة كان طلقها وفي جملتها يقول

فبيني فقد فارقت غير ذميمة ... قضاء دعانا للقطيعة لا الختل

ويقول ايضاً منها

سلوت ولو قال العواذل لا يسلو ... واقسمت لا يرقى الى مسمعي العذل

وعلى هذا تكون حرية مسلم في مخاطبة امرأة لا رجل وقد تأدب في الذي خاطبها به ولكنه لو كان يخاطب يزيداً الشيباني مثلا وهو من جملة ممدوحيه لما جسر فيما نظن ان يواجهه بمثل تلك اللهجة

واننا ما اخترنا ذكر المرأة آنفاً الا لعلاقتها بهذه المجلة ولذلك نشكر صاحب المنهل بالخصوص لدفاعه عنها ثم نشكره لما عاناه من نشر هذه المباحث المفيدة التي توسع مدارك القارىء وتغرس في نفسه حب النقد والتنبه الى ما يريد انتقاده والاحاطة بجميع جوانبه

كتاب اولادي — (تابع ما قبله)

الفصل الاول

﴿ الارادة والاخلاق ﴾

تعلم ان تكون صاحب ارادة وقم بما هو واجب عليك . بهذه الكلمات القليلة تلخص شتى الوصايا التي يشاد عليها بناء الحياة الشاهق

لا جرم ان القيام بالواجب هو الوصية الذهبية التي تعتبر فريدة عقد السلوك والمرجح الاكبر في التأثير على حياة الانسان ومركزه . ولكن للعمل بها لا يكفي ان يرغب الانسان في ذلك بل ينبغي ان يكون قادراً على العمل وان يكون صاحب ارادة ونشاط وله سلطان على نفسه يقودها حيث شاء ولا تقوده الاميال والاهواء . وفي هذه النقطة من الصعوبة مالا يخفى بل هذه هي النقطة التي يتحتم على الشاب الداخل في الحياة ليخوض غمارها ويدفع تيارها ان يصرف في سبيلها كل جهده وقواه لتهذيب نفسه وتقويم معوجها بحيث يصبح مطلق التسلط عليها وعلى جميع نزعاتها وعلى جسمه وعلى كل حركاته واعماله

وكل من امكنه التسلط على نفسه امكنه ان يكون رجل خير وبمعنى اعم امكنه ان يكون ولي الامر في تصريف الشؤون التي تتعلق بحياته وان يوفر لنفسه اسباب السعادة والهناء

ولكن كيف يتيسر للانسان ان يضمن تأثير هذا السلطان الدائم على